الفصل الثاني
الظواهر اللغوية

من خلال تلك العبارات التي وردت في كتاب الفاخر لابن سلمه نستطيع أن نلاحظ الكثير من الظواهر اللغوية التي وردت في هذا الكتاب منها: ظواهر نحوية، وصرفية، ودلالية .. وغيرها.

أولاً: ملاحظات ابن سلمه اللغوية:

١- ملاحظات صرفية:

لقد كان ابن سلمه عالماً صرفياً واسع العلم، وقد وضح ذلك من تعليقاته التي ذكرها على كثير من العبارات نحو قوله في هذه العبارة "فلان عظيم المئونة" يقول: "قال الفراء: المئونة من الأين، وهو التعب والشدة، فكأن المعنى إنه عظيم التعب والمشقة في الإنفاق على من يعول، وكان أصله مأينة فالياء حرف إعراب والضمة حرف إعراب، فاستثقلوا إعراباً على إعراب، فنقلوا الضمة عن الياء إلى ما قبلها وهى الهمزة، فانضمت الهمزة وبقيت الياء ساكنة فانقلبت واواً لانضمام ما قبلها كما قال أبو جندب الهذلي:

وكنت إذا جارى دعا لَمضُوفِة أُشَمِّر حتى يَنْصُفَ السَّاق مِئزَرِي

كان الأصل: مضيفة أي أمر ينزل به من الضيافة، والياء حرف إعراب والضمة حرف إعراب فاستثقلوا ذلك، فنقلوا الضمة إلى الضاد وبقيت الياء ساكنة فانقلبت واواً للضمة التي قبلها قال: وتكون مَفْعَلة من الأون وهو الدعة والسكون قال الراجز:

غيَّر يا بنت الحُليـــس لونى
مَرُّ الليالي واختلاف الجون
وسَفَر كان قليـــــل الأون

وكان الأصل مأونة، فالواو حرف إعراب والضمة حرف إعراب فاستثقلوا إعراباً على إعراب فنقلوا الضمة إلى الهمزة فصارت مؤونة: قال وتكون أيضاً فعولة من مُنتُ القوم إذا قمت بأمورهم همزت الواو لما انضمت لأنهم يتثقلوا

الضمة (على الواو فهمزت لتحتمل الضمة) كما قالوا هو قؤول للخير، وهو من قال يقول لما انضمت الواو همزت ومثله رجل صؤول من صال يصول. ومن ذلك قول امرئ القيس:

وتضحى فتيتُ المسك فوق فِراشها نئوم الضُحى لم تنطق عن تَفَضّل

فقال نئوم وهو من النوم لما أعْلَمْتُكَ[1] .

ومثال آخر "لبيك وسعديك" قال وكان أصله لَبَّيْكَ فاستثقلوا ثلاث ياءات فقلبوا إحداهم ياء، كما قالوا: تَظَّنتُ، يريدون تظننت، فلما كثرت النونات قلبوا إحداهن ياء، وكذلك دينار أصله دنَّار فاستثقلوا نونين فقلبوا الأولى ياء، فإذا جمعوا قالوا: دنانير فرجعت النون لما فرقوا بينهما، ومنه قول العجاج: تقضّى الباري إذا الباري كسر.

أراد تقضض البازي فاستثقل الضادات فقلبت إحداهن ياء، وقال الراجز: **حتى يُزيل عنى التظني** ، يريد التظنن[2]

هذه الظاهرة الصرفية الأولى، والثانية ـ في الحقيقة ـ ظاهرة صوتية.

فالأولى تخضع لقانون المماثلة الصوتية حيث أثرت الضمة المتأخرة على الياء في مأينة على الهمزة الساكنة فجعلتها مضمومة، ثم تحولت الياء بتأثير ضمة الهمزة إلى واو فصارت مؤونة.

أما الثانية: فهي تخضع لقانون المخالفة الصوتية، وهو قانون يسير في عكس اتجاه قانون المماثلة، حيث يعمد إلى صوتين متماثلين تماماً في كلمة من الكلمات فيغير أحدهما إلى صوت آخر يغلب أن يكون من أصوات العلة الطويلة أو من الأصوات المتوسطة أو المائعة[3].

وهذا ما أشار إليه ابن سلمة من أنهم يستثقلون اجتماع ثلاث نونات فيقلبون أحدهم ياءًا، ولم يكن ابن سلمة وحده أول من أدرك هذا الأمر، يقول د. رمضان عبد التواب، وقد فطن قدماء اللغويين العرب لهذه الظاهرة، وكانوا يعبرون عنها أحياناً بكراهية التضعيف أو كراهية اجتماع حرفين

---

(١) الفاخر ١٢٨-١٢٩.
(٢) الفاخر ٤-٥.
(٣) التطور اللغوي ٥٧.

من جنس واحد، أو اجتماع الأمثال مكروه، أو استثقلوا اجتمعا المثلين، وغير ذلك، فقد عقد سيبويه لذلك باباً في كتابه بعنوان "هذا باب ما شذ فأبدل مكان اللام الياء، لكراهية التضعيف، وليس بمطرد. ويسميها الخليل بن أحمد: "الاختلاف، فيما روى عنه الأزهري"[1].

وقد أشار ابن سلمة إلى هذه الظاهرة من موضع آخر فى كتابه الفاخر في قوله "ضرب عليه ساية .. كان الأصل فيها سوية فلما اجتمع واو وياء وسبق الأول منهما بالسكون صارتا ياء شديدة فكانت سية، فاستثقلوا ياءين فحولوا إحداهما ألفاً لفتحة ما قبلها كما قالوا: داوية وأصلها دوية .."[2].

النحت في اللغة:

أشار ابن سلمه إلى وجود ظاهرة النحت في اللغة وكيف تتم، يقول ابن سلمه "لا تبرقل علينا وأخذ في البرقلة" ومعناه الكلام بلا فعل، وهو مأخوذ من البرق بلا مطر، وإذا كانت الكلمتان يتكلم بهما في موضع ثم احتيج إلى أن تجعلا كلمة واحدة أضافوا إلى الكلمة الأولى حرفاً من الكلمة الثانية ومن ذلك قولهم: أكثر من الحولقة وهو قولك: لا حول ولا قوة إلا بالله، وكذلك قولهم: أكثر من البسملة، يريدون باسم الله، وحكيم الخليل: حيعل من قول المؤذن: حي على الصلاة، حي على الفلاح .."[3].

والنحت من ضروب الاشتقاق في اللغة، وهو أن تعمد إلى كلمتين، أو جملة فتنزع من مجموع حروف كلماتها كلمة فذة تدل على ما كانت تدل عليه الجملة نفسها، ولعل السبب في نشوء بعض المنحوتات في اللغة أن المتكلم قد يعسر عليه أن "يفصل بين كلمتين وردتا في ذهنه دفعة واحدة، وربما تتداخل الكلمتان فيما بينهما تداخلاً تاماً. والنتيجة الطبيعية لمثل هذه الزلة وجود كلمة هي خليط من عناصر مختلفة أو صيرورة الكلمتين كلمة واحدة عن طريق النحت (Contamination)، أو تكوين كلمة صناعية مشتملة على مزيج من أصوات كلمتين أخريين، وجامعة لمعنييهما"[4].

---

(١) التطور اللغوي ٦٣.
(٢) الفاخر ١٠٦.
(٣) فصول فى فقه العربية ٣٠١.
(٤) الفاخر ٣١.

ومثال آخر على النحت قولهم ٣٩٥/٢٦٢ "إيها" معناه نعم وأصل ذلك أن العرب تقول: إي ها والله، يصلون إي ومعناها نعم يها الله، ثم كثر في كلامهم حتى وصلوا إي بحرف من ها الله .. لأن العرب إذا كثر الحرف على ألسنتها وعرفوا معناه حذفوا بعضه لأن من شأنهم الإيجاز، من ذلك قولهم: اللهم، كان أصله – والله أعلم، يا ألله أمَّنا بخير، ثم كثر حتى وصلوا الله بحرف من أمنا، وقال الله تعالى: **(وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ)** [سورة يونس: ٥٣] بمعنى نعم إنه لحق.

٢- الإتباع والمزاوجة:

تبدو في العبارات التي ذكرها ابن سلمه كثير من الأمثلة لظاهرة الازدواج اللغوي منها:

١- ٣٥/٢١ "ماله ثاغية ولا ناغية"
٢- ٣٦/٢١ "ماله دقيقة ولا جليلة"
٣- ٣٧/٢١ "ماله سبد ولا لبد"
٤- ٣٣/٢٠ "ويله وعوله"
٥- ٣٨/٢٢ "ماله دار ولا عقار"
٦- ٤٠/٢٢ "رآه الصادر والوارد"
٧- ٤٣/٢٤ ""جاء بالضح والريح"
٨- ٤٤/٢٤ "جاء بالطم والرم"
٩- ٤٥/٢٥ "جاء بالقض والقضيض"
١٠- ٥١/٢٧ "ما يفقه ولا ينقه"
١١- ٧٠/٣٤ "ما حج ولا دج"
١٢- ٧١/٣٥ "مازلنا بالهياط والمياط"
١٣- ٧٧/٣٧ "لا دريت ولا ائتليت" ويقال: معناه لا دريت ولا تلوت، أى لا أحسنت أن تتلو، فقلبوا الواو ياءًا لإزدواج.
١٥- ٨٣/٤٠ " ماله صامت ولا ناطق"
١٦- ٨٩/٤٣ "ما يعرف هراً من بر"
١٧- ٩١/٤٤ "لا قبل الله منه صرفاً ولا عدلاً"

١٨- ١٨٤/١٠٩ "لكل ساقطة لاقطة" .. واللاقطة: أراد لاقطاً أى آخذاً حاملاً، فأدخل الهاء لمكان ساقطة لإزدواج الكلام.

١٩- ٣٦٢/٢٤٠ "ما عنده خير ولا مير"

٢٠- ٩٥/٤٨ "أف وتف وأفة وتفة" أف معناه قلة لك، وتف إتباع مأخوذ من الأفف وهو الشيء القليل.

٢١- ١/٢ "حياك الله وبياك

وقد تعرض ابن سلمه لتفسير بعض من هذه العبارات على أساس ظاهرة المزاوجة في اللغة موضحاً تأثيرها على بناء الكلمة كما في العبارة ١، ١٤، ١٨ وظاهرة الإتباع كما في العبارة ٢٠.

ويذكر "برونو" ناشر كتاب "الإتباع والمزاوجة" لابن فارس "أن كلا من الإتباع والمزاوجة يفترقان عن التعبيرات المماثلة كالسجع مثلاً في أن الكلمة الثابتة في الإتباع والمزاوجة لا ترد فيما عدا ذلك من التراكيب أو على الأقل بهذا المعنى كما يبدو أن اصطلاح الإتباع يقصد به الصيغ الوصفية التي تتبع الكلمة الأولى بلا رابط، على حين أن الصيغ الفعلية التي ترتبط بالكلمة الأولى برابط ،أو تكون وحدها جملاً مستقلة تسمى بالمزاوجة"[1].

٣- الجانب الدلالي:

عندما تشيع العبارة بين الناس وتلقى قبولاً يحدث فيه تطور، وتغير، فإما أن يحدث لهما كما في تطور الألفاظ انحصار في الدلالة، أو تعميم في الدلالة، أو انتقال في الدلالة، أو ارتقاء أو انحطاط في الدلالة. وأحياناً تظل على حالها عبر الأزمان تحمل الدلالة الأولى نفسها.

وقد لاحظ ابن سلمه هذه الظاهرة الدلالية وأشار إليها في مواضع كثيرة، وهذا ما نحاول أن نتعرف عليه من خلال تلك الأمثلة الواردة في هذه العبارات.

أولاً: عبارات لاحظ ابن سلمه تطورها وفسرها:

أشار ابن سلمه إلى كثير من العبارات التي لاحظ تغير دلالتها، ولهذا فهو يذكر أصل دلالتها ثم يشير إلى ما حدث فيها من تطور نحو:

---

(١) فصول في فقه العربية ٢٤٧

أ) انتقال الدلالة:

٦٨/٣٤ "حلف بالسمر والقمر"

قال الأصمعي: السمر: الظلمة، قال: وإنما سميت سمراً لأنهم كانوا يجتمعون في الظلمة فيسمرون أي يتحدثون، ثم كثر ذلك حتى سميت سمراً" فهو يشير إلى ظاهرة انتقال الدلالة حيث انتقلت دلالة كلمة سمر من الدلالة على الظلمة إلى الدلالة على الحديث بين الإخوان في الليل.

ويتحدث ابن سلمة في مثال آخر على انتقال الدلالة عن أصل أسماء "دورات المياه" ومن أين أتت وكيف انتقلت دلالتها إلى المكان نفسه، وهو حديث يوضح فهمه الجيد لتطور الدلالة، يقول ابن سلمة ٩٦/٤٩ "قولهم أنتن من العذرة" يعنى الخُرْء قال الأصمعى: وإنما العذرة فناء الدار، وكانوا يطرحون ذلك بأفنيهم، ثم كثر حتى سمى الخرء بعينه عذرة، وأنشد الحطيئة:

لعمرى لقد جربتكم فوجدتكم قباح الوجوه سيِّيء العذرات

يريد الأفنية، قال: وكذلك سموه غائطاً وإنما الغائط المطمئن من الأرض، وكان أحدهم إذا أراد أن يقضى حاجته أتى الغائط، ثم كثر حتى سموه غائطاً. قال: وكذلك الكنيف إنما هو حظيرة تعمل للإبل من البرد، ثم كان أحدهم ربما كنف في ناحية بيته حظيرة لقضاء حاجته، فكثر حتى سمى البيت التى يتخذ لهذا كنيفاً. وكذلك الحش إنما هو النخل المجتمع، وكان الرجل يأتي ذلك النخل لقضاء حاجته يستتر به. ثم كثر حتى سمى الموضع المتخذ لقضاء الحاجة حشاً".

وهذا الحديث وردت فيه ألفاظ كثيرة كأسماء لدورات المياه منها: "الغائط – الكنيف – الحظيرة – الحش" يوضح مدى إدراك ابن سلمة لانتقال الدلالة والمسبب في تعدد أسماء الشيء وتأثير الزمن على المعنى وجعله يكتسى كل يوم بلفظ جديد، ثم يشير إلى تأثير كثرة الاستعمال على انتقال الدلالة واقتران الحدث بالمكان مما يؤدى إلى انتقال اسم المكان إلى الحدث ليصبح اسماً للحدث.

ب- انحطاط الدلالة:

ويندرج تحت قسم انتقال الدلالة انحطاط الدلالة وقد أشار ابن سلمة إلى عبارة حدث لها انحطتط دلالي وهى ٢٠٤/١١٨ "زور عليه" قال الأصمعي: التزوير: إصلاح الكلام وتهيئته ... وقال أبو زيد: التزوير والتزويق واحد ومنه المزور وهو المصلح المحسن من الكلام والخط، وقال خالد: التزوير التشبيه، وقال غيره التزوير فعل الكذب والباطل وهو من الزور، والزور الكذب والباطل".

ج- تعميم الدلالة:

نحو: ٩٥/٤٨ "أف وتف وأفة وتفة" قال الأصمعي: الأف وسخ الأذن، والتف: وسخ الأظفار، كان يقال ذلك عند الشيء يستقذر ثم كثر حتى صاروا يستعملونه عند كل ما يتأذون منه" فهو تعميم للدلالة من الدلالة على أوساخ الأذن والأظفار إلى كل أنواع الأوساخ.

مثال آخر وهو قوله ١٥١/٨٨ "قولهم: يا وغد" قال الأصمعي: الوغد الضعيف ثم كثر حتى قالوا لكل قليل وغد، وكذلك النذل هو الضعيف، ثم كثر حتى جعل للبخيل وغيره .."

ومن توسيع الدلالة أيضاً: ٣٧١/٢٤٤ "قولهم قد أجازه السلطان" أصل الجائزة أن يعطى الرجل ما يجيزه ليذهب لوجهه. وكان الرجل إذا ورد الماء قال لقيمه: أجزني أي أعطني ماء حتى أمضى لوجهي وأجوز عنك، ثم كثر ذلك حتى جعلت الجائزة عطية، قال الراجز:

يا قيم الماء فدتك نفسي أحين جوازي وأقل حبسي

ومن التوسيع أيضاً: ٥١٩/٣٢٢: قولهم: للكبير والضعيف "نقض" هذا مما يغلطون فيه، وإنما هو نقض بالكسر. وأصل ذلك في البعير الذي ينقضه السفر ويليه، ثم كثر حتى قيل للشيخ والضعيف.

ومن التوسيع أيضاً: ٣٧٤/٢٤٥ "قولهم: ضغا منى وهو ضغاء. أصل الضغو في الكلب والثعلب، إذا اشتد عليه أمر عوى عواء ضعيفاً فيقال لذلك العواء الضغو والضغاء، يقال: ضغا يضغو ضغواً وضغاء، ثم كثر ذلك حتى جعل لكل من عجز شيء"

ومن التوسيع أيضاً: ٤١٢/٢٧١ "قولهم: لاحيت فلاناً في كذا وبيننا ملاحاة" الملاحاة: الممانعة والمدافعة، قال الأصمعي: وأصله الملاومة والمباغضة ثم كثر حتى صارت كل ممانعة ومدافعة ملاحاة"

ومثله ٤٦٥/٢٩٣ "هو يتقين" التقين: إصلاح الشعر ثم أصبح كل صانع قين والصانعة قينة"

د- تضييق الدلالة:

ومن تضييق الدلالة قولهم:

٣٧٢/٢٤٤ "أقاموا على فلان مأتماً" أصل المأتم: مجتمع النساء والرجال على كل حزن أو فرح، ثم كثر حتى صيروه في الموت خاصة"

ثانياً: عبارات تطورت بعد عصر المؤلف:

بعد عصر المؤلف ابن سلمة حدث تطور دلالي لكثير من العبارات وأصبحت تعنى دلالات مختلفة عما كانت تعنيها في عصر ابن سلمة. فمن هذه العبارات ما حدث لها انحطاط دلالي، ومنها ما حدث لها انتقال دلالي، ومنها ما حدث لها ارتقاء دلالي وغيرها. وذلك بفعل الزمن في المجتمع العربي.

أ) انتقال الدلالة:

١- انحطاط دلالي:

كما فى ٩٨/٥٠ "المخنث" سمى مخنثاً لتكسره، والتخنث: التكسر، يقال: طويت الثوب على أخناثه أي على كسوره، حكى ذلك كله ابن الأعرابي" وقد حدث لها انحطاط دلالي فأصبحت تدل على الرجل الذي يتصف بصفات الأنثى ويقلد سلوكها من التمايل وغيره وهو نوع من التكسر.

وكما فى قوله: ١٥١/٨٨ "يا وغد" قال الأصمعي الوغد الضعيف ثم كثر حتى قالوا لكل قليل وغد وكذلك النذل وهو الضعيف، ثم كثر حتى جعل للبخيل وغيره" وقد حدث انحطاط دلالي لها. حيث أصبحت تشير إلى سيء الخلق الذي هو ناتج عن ضعفه والعلاقة بينهما واضحة.

وكما في قوله: ٣٨٨/٢٥٦ "فتي مقذذ" المقذذ: النظيف المتزين التام الهيئة مأخوذ من السهم المقذذ وهو الذي قد جعلت له القذذ، وهى ريشة: الواحدة

قذة .. فشبه الفتى لتمام هيئته وحسن زيه بالسهم الذي قد تم إصلاحه. وقد حدث انحطاط دلالى لهذه الكلمة وأصبحت تدل على الفتى غير النظيف. وربما جاءها هذا المعنى من كلمة قذى العين "قذى فى عينه قذاة وقذى، وفى الشراب قذى وأقذاء، وقذيت عينه، وأقذيتها أنا: طرحت فيها القذى"[1].

٢- ارتقاء دلالي:

وهناك عبارات قد حدث لها ارتقاء دلالي نحو ٢١١/١٢٠ "هو خجل – وقد خجل الرجل".قال أبو عمرو: الخجل الكسل والتواني وترك الحركة عن طلب الرزق وغيره، ثم جعل ذلك في الانقطاع عن الكلام والحصر، وقال غيره: الخجل أن يبقى الإنسان باهتاً متحيراً دهشاً .. والخجل: سوء احتمال الغنى" كل هذه معاني الخجل كما رواها ابن سلمة، ولكن ما يعرف الآن عن معنى الخجل هو الحياء. فقد حدث لها رقى دلالي فثبتت عند معنى واحد من معانيها وهو الانقطاع عن الكلام، ولكن ليس بسبب علة الحصر بل بسبب الحياء.

٣- انتقال دلالي:

ومن انتقال الدلالة قوله ٣٣٨/٢٠٧ "تناضل الرجلان وكنا في النضال" قال الفراء: معنى النضال: التخاير في الرمي. يقال: تنضلت الرجل أي تخيرته .. ومن ذلك سمى الرجل بنضلة.." فالنضال هو التخاير في الرمي وقد حدث انتقال دلالي من هذا المعنى إلى معنى قريب منه في الحقل الدلالي نفسه، فأصبحت تدل على القتال والجهاد فأطلق الاسم على العملية كلها بعد أن كان يطلق على موقف واحد وهو التخاير في الرمي.

ومنها قوله ٤٨٨/٣٠٧: قولهم للديك والكبش "فنيخ" معناه مقهور ومغلوب، قال: "فنخة إذا أذله وقهره" وقد حدث لها انتقال دلالي فأصبحت تدل على الإنسان المقهور الهارب من المواقف الصعبة.

ب) تخصيص الدلالة:

- منها قوله ٤٧٩/٣٠٠ "هو لبق" معناه: رفيق لطيف فيما يعمل.

---

(١) أساس البلاغة ٣٥٩.

وقال رؤبة يصف حماراً:

قباضة بين العنيف واللبق مقتدر الصنعة وهواه الشفق

قال ابن الأعرابي: معناه لين الخلق حلو، ومنه سميت الملبقة للينها وحلاوتها"

- منها قوله ٤٠٤/٢٦٨ "تشاجرا في كذا ووقع بينهم مشاجرة"

معناه اختلاف. وتشاجر القوم أي اختلفوا، وشجر بينهم القول أي اختلف، ومنه قوله تعالى (حتى يحكموك فيما شجر بينهم) أي فيما اختلف من القول. ويقال: شجر بين رجليه إذا خالف بينهما، وقد حدث تخصيص دلالي لها وأصبحت تعنى قمة الخلاف وهو العراك بين الأشخاص.

- ومنها قوله ٣٣١/٢٠٣ "حقن الله دمه" أي حبسه في جلده وملأه به وكل ما ملأت به شيئاً أو دسسته فيه فقد حقنت فيه ومن هذا سميت الحقنة .." وقد خصص هذا المعنى على حقن الدماء عن أن تراق في القتال فقط، فأصبحت تعنى (حقن الله دمه) أي منها أن تراق في القتال فقط.

ومنها ٣٢٨/٢٠٢ "أطنب في وصفه" قال الأصمعي وغيره: معناه اجتهد. ويقال أطنب في عدوه إذا اجتهد فيه وكل ذاهب مجتهد في ذهابه فهو مطنب .." وقد خصص للاسترسال في الحديث أي أسهب في حديثه .

جـ) تعميم الدلالة:

ومنه قوله ٦٥/٣٢ " .. هلم جراً" أي تعالوا على هنينتكم كما يسهل عليكم من غير شدة وصعوبة وأصل ذلك من الجر في السوق وهو أن تترك الإبل والغنم ترعى في مسيرها: أي متتالية في نسق واحد، وحدث تعميم دلالي لها لتصبح دلالة على كل شيء يأتي على نفس نسق ما يسبقه سواء كان هذا الشيء مادياً أو معنوياً.

ولكن السؤال الآن هو علام يدل تطور دلالة هذه العبارات مع ثبات لفظها؟

إن تطور هذه العبارات يعنى تفاعل هذا المجتمع مع بعضه البعض، ودخلوا آراء وسلوكيات تؤدى إلى تغير دلالة العبارة.

وهذا يؤكد المقولة الشهيرة: أن اللغة كائن حي فتتأثر كالكائن الحي بكل ما يحدث في المجتمع فيحدث لها ما يحدث له من تطور أو تخلف.

ويدل بقاء هذه العبارات بنصها على ألسنة الناس وفى أذهانهم رغم تغير دلالتها أحياناً لتطور المجتمع وتغير ظروفه الحياتية.

ثالثاً: عبارات مازلت موجودة بمعناها نفسه:

لم يحدث لها أي تغير في دلالتها ولازالت مستخدمة في مجتمعنا بمعناها نفسه السابق نشير إلى بعض منها:

١- ١٢٥/١٣٠ "صاحت عصافير بطنه" إذا جاع، قال الأصمعي: العصافير الأمعاء. وقال أبو عمرو: العصافير ما اضطرب عند الجوع والفزع مثل الأمعاء والأحشاء والقلب وما أشبهها ..".

٢- ٣٦٣/٢٤٠ "دوخت البلاد" أى وطئتها وذللتها، ومنه قولهم: دوخني الحر أي كسرني وغلبني، ويقال دخت للأمر أى ذللت له" هو المعنى المعاصر نفسه.

٣- ١١٨/٢٠٤ "زور عليه" .. التزوير فعل الكذب والباطل وهو من الزور، والزور: الكذب والباطل"

٤- ٢١٨/١٢٤ "رجل شهم" .. قال الفراء: الشهم الذي لا تلقاه إلا حمولاً طيب النفس بما يحمل، من الرجال والإبل، هو الآن بمعنى الكريم الحمول الذي تجده عند الشدائد.

٥- ١٩١/١١٣ "لأرينك الكواكب بالنهار" أي لألقينك في شدة يظلم عليك النهار حتى ترى الكواكب وإنما هذا مثل في الشدة" وهو موجود ولكن بعبارة قريبة وهى "لأرينك نجوم الظهر"

٦- ١٨٤/١٠٩ "لكل ساقطة لاقطة" قال الأصمعي وغيره: الساقطة الكلمة التي يسقط بها الإنسان أي لكل كلمة يخطئ بها الإنسان من يحفظها فتحملها عنه .. واللاقطة: أراد لاقطاً أي آخذاً حاملاً"

٧- ١٤٤/٨١ "فلان عرة" قال الأصمعي: العرة والعر: الجرب، فيعنى أنه يعر أهله أي يلصق بهم من العيب والدنس كالجرب، وهى موجودة بكسر العين وبالمعنى نفسه.

٨- ١٩٨/١١٦ "فعل ذلك عمداً" أي قصداً

٩- ٣٢٤/٢٠٠ "بكى الصبي حتى فحم" قال ابن الأعرابي: معناه بكى حتى انقطع من كثرة ما بكى.

والسؤال الآن لماذا ثبتت هذه العبارات على دلالتها الأولى؟

لو نظرنا إلى هذه العبارات فسنجد أنها تشير إلى أمور تتصل بالإنسان وطبيعته البشرية التي لا تتغير عبر الأجيال والأحقاب منذ آدم إلى ما شاء الله، فكلها حالات إنسانية نحو:

١- الجوع فهو واحد عبر الأجيال وأيضاً الإحساس به واحد ولهذا بقيت عبارة "صاحت عصافير بطنه" بمعناها حتي لو تغيرت بعض ألفاظها من بيئة إلى أخرى.

٢- الكذب: هو الزور في كل مكان وزمان فبقيت "زور علينا" لتشير إلى سوء ذلك السلوك الإنساني.

٣- التعب: حالة التعب من التنقل والترحال واحدة في كل مكان ولهذا بقيت "دوخت البلاد" لتعبر عن هذا التعب.

٤- الكرم: أيضاً صفة إنسانية لا تتغير ولهذا بقيت عبارة "رجل شهم"

٥- التهديد والتخويف واحد في كل زمان ومكان ولهذا بقيت عبارة "لأرينك الكواكب بالنهار"

٦- العيب وتتبعه سلوك واحد عبر الأحقاب ولهذا بقيت عبارة "فلان عرة" "لكل ساقطة لاقطة"

٧- شدة بكاء الطفل واحد أيضاً بل عبروا عنه بتشبيه واحد "بكى الطفل حتى تفحم"

إذن هذا الثبات في دلالة تلك العبارات راجع إلى اتصالها بالطبيعة الإنسانية التي لا تتغير عبر الأجيال.

رابعاً: عبارات إسلامية:

هناك عبارات لا ترجع إلى العصر الجاهلي، بل هي عبارات إسلامية وجدت بعد ظهور الإسلام، منها عبارات نطق بها الرسول الكريم ﷺ فكان

أول الناطقين بها وشاعت على ألسنة الناس، وأخذت خصائص المثل السائر، وهناك عبارات مقتبسة من القرآن الكريم وشاعت الطريقة نفسها وهناك أيضاً عبارات خاصة بالأدعية والابتهالات والتحية والتلبية حول البيت العتيق، وقد أخذت جميعاً الطابع الإسلامي وجردت مما كان يعلق بها من آثار الشرك والوثنية، وجاءت خالصة لله.

أولاً: عبارات الرسول ﷺ:

جمع ابن سلمة في ص ٤٠٣/٢٦٨ "مجموعة كبيرة من العبارات التي تنسب إلى الرسول ﷺ كان أول قائل لها فقال: "ليس الخبر كالمعاينة، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أول من قال ذلك. وكذا عنه أنه أول من قال: "يا خيل الله اركبي" وكذا "مات حتف أنفه" وكذا "الآن حين حمى الوطيس"

وقال أيضاً ٤٨٣/٣٠٣ "المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين" أول من قال ذلك رسول الله ﷺ لأبى عزة الشاعر واسمه عمرو بن عبد الله بن عمر الجمحي.

وقال أيضاً ٤٩٨/٣١١ "سبقك بها عكاشة" أول من قال ذلك رسول الله ﷺ

وقال أيضاً ٥٠٠/٣١٢ "ما المسئول بأعلم من السائل" أول من قال ذلك رسول الله ﷺ

وسأله رجل عن قيام الساعة فقال: ما المسئول بأعلم من السائل" أي إني لا أعلم ذلك كما لا يعلمون.

وقال أيضاً ٥٠١/٣١٢ "لا ينتطح فيها عنزان" أول من قال ذلك رسول اللهﷺ

ثانياً : عبارات مقتبسة من القرآن الكريم:

هناك عبارات مقتبسة من القرآن الكريم نحو تلك العبارات ٥١٣/٣١٧ "قولهم في الدعاء على الإنسان: يا ليتها كانت القاضية" أي الموتة التي لا حياة معها. قال الله عز وجل: **(يَا لَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ)** يقوله الكافر، أي ليتني لم أحي بعد موتى

وأيضاً ٥١٥/٣١٨ "الطامة" أي الداهية، والطامة: من أسماء القيامة، وهذا معناها. قال الله عز وجل: **(فَإِذَا جَاءَتْ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى)**.

ثالثاً: التحية والأدعية الإسلامية:

منه قوله ٣/٤ "لبيك وسعديك" قال الفراء: معنى لبيك إجابة لك. قال: ومنه التلبية بالحج إنما هو إجابة لأمرك بالحج.

ملاحظة اجتماعية:

إن شيوع هذه العبارات في المجتمع الجديد يعبر عن مدى تفاعل هؤلاء الناس في هذا المجتمع مع الدين الجديد والتجاوب معه حتى أصبحت كلماته وعباراته مثلاً سائراً بين الناس، بل إنهم يقتبسون من كتابه الكريم وأحاديث رسول الله العظيم ﷺ عبارات صارت عندهم مسار المثل السائر أيضاً، لقد تغلغل هذا الدين الجديد في كل هذا المجتمع وتشعب في كل دروب حياته وفى سلوك أفراده.

المراجع

١- أساس البلاغة – للزمخشري – طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٢٢

٢- التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه – د. رمضان عبد التواب – الخانجي – الطبعة الثانية ١٩٨٩

٣- الزاهر في معاني كلمات الناس لابن الأنباري – مؤسسة الرسالة – بيروت ١٩٩٢

٤- علم الدلالة د.أحمد مختار عمر – عالم الكتب ١٩٨٨

٥- علم اللغة الاجتماعي د. هدسون – ترجمة د. محمود عياد – عالم الكتب ١٩٩٠

٦- الفاخر لأبى طالب المفضل بن سلمة بن عاصم – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤

٧- فصول في فقه العربية د. رمضان عبد التواب – الطبعة الثانية – الخانجي ١٩٨٠

٨- قاموس المصطلحات والتعابير الشعبية – أحمد سعد – بيروت.

٩- مفهوم المعنى – دراسة تحليلية د. عزمي إسلام – حوليات كلية الآداب – جامعة الكويت ١٩٨٥

١٠- Meaning and style. S. Ullmann Oxford, ١٩٧٣